نـافـذة

أنقذوا مواقعنا الأثرية

مشاركاتي الكثيرة في مؤتمرات المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة المعروفة باسم اليونسكو التي تعقد في باريس كل سنتين، وتعد أهم المؤتمرات الثقافية العالمية، أتاحت لي فرصة الاطلاع على جوانب كثيرة مما يثار في هذه المؤتمرات من قضايا وطروحات ونقاشات حول، أهمية العمل الدولي لصيانة وحماية وترميم المواقع الأثرية وأهمية إدراك العالم مدى القيمة الثقافية للمواقع الأثرية، وضرورة الحفاظ عليها للأجيال القادمة، وقد حددت اتفاقية التراث العالمي الموقعة من جميع الدول الأعضاء في اليونسكو ما يعتبر تراثاً ثقافياً:

– الصروح: الأعمال المعمارية، أعمال النحت، الرسوم الصرحيّة، العناصر أو المنشآت ذات الطبيعة الأثرية، النقوش، الكهوف، مجموعات المعالم التي تحمل قيمة عالمية كبيرة من وجهة نظر التاريخ، الفن أو العلوم.

– مجموعات الأبنية: تلك المنفصلة أو المتصلة، والتي بسبب فن عمارتها وتجانسها أو موقعها في الطبيعة، تحمل قيمة عالمية كبيرة.

– المواقع: من عمل الإنسان أو نتيجة مشتركة لعمل الطبيعة والإنسان، لقد كانت المواقع الأثرية أحد أنبل التجسيدات لعبقرية الشعب السوري منذ مليون سنة خلت وحتى العصور العربية الإسلامية المتأخرة، ولذلك ليس غريباً أن تحظى هذه الآثار بمكانة كبيرة في المؤتمرات واللجان والمنظمات الثقافية والتراثية العالمية.. لقد كنت أدرك جيداً من خلال حواراتي واجتماعاتي مع كبار العلماء والخبراء والباحثين والمفكرين أن الذي تم بناؤه عبر الأزمنة والقرون في سورية، هو تعبير ملموس للجمال متعدد الجوانب، وتفرّد لتلك العبقرية الخلاقة المبدعة للفنان العربي السوري الذي قدم نفسه للعالم بأحلى وأجمل صورة عرفتها البشرية.. وكم كان صادقاً وليم هاليغاكس عالم الآثار عندما وقف أمام آثار تدمر وقال: «.. تسمّرت أعيننا على مشهد رائع لكم كبير من الأعمدة الرخامية.. قد يتوقع المرء أن يرى مثل هذه الآثار الرائعة، إلا أنه لو يصح تكوين تصور للجمال الأصلي للمكان بما نرى من بقايا، فإنني أتساءل إن كانت هناك أي مدينة في هذا العالم تدعي التفوق على مثل هذا الجمال بروعته»..

آثار ومواقع سورية، بما فيها من غنى وتنوع وروعة وجمال وحضارة، تتعرض منذ أكثر من أربع سنوات، للنهب والسرقة والتدمير والتخريب من عصابات القتل والسرقة والسطو المسلح، والغريب ذلك الصمت الدولي الذي لا يليق بحضارة البشر، ولا يعبر عن مكنونات الأثر، الذي يريدون محوه وتدميره..

لقد كان على العالم المثقف والمدرك لعظمة الحضارة المجسدة في آثار سورية، أن يقوم باتخاذ الإجراءات اللازمة التي تتوافق مع مقولة المدير العام السابق لليونسكو فيدريكو مايو والتي قال فيها: «يجب أن ننظر إلى الأمام ونقدر المستقبل، ونتخذ التدابير الوقائية الضرورية.. التي تشكل واجباً أخلاقياً».

مدير عام الآثار والمتاحف في سورية، في تصريح له قال: «ما يزيد على ٧٥٠ موقعاً أثرياً تعرض للنهب والسرقة والتدمير والتخريب».. ردود فعل العالم لم تكن على مستوى الحدث المؤلم، ولم تكن على مستوى بيان اجتماع وزراء أوروبا الذي جاء فيه «إن حماية التراث وسيلة لتشجيع التفاهم بين الثقافات، التي هي وصية على الذاكرة الجماعية، وأداة نحو سياسة السلام الضامنة للتنوع، وصانعة لفرص العمل».

يحدثوننا عن الحضارة وضرورة حماية التراث، ويتركون آثارنا ومعالمنا الحضارية العالمية تسرق وتدمر أمام عدسات محطات إعلامهم الذي لا حدود لانتشاره وسطوته، ويبقى المشهد عبثياً، تراجيدياً.. النداءات الهامسة، والنيات الطيبة لا تكفيان لحماية آثارنا ومواقعنا التاريخية والحضارية.. لقد كانت المديرة العامة لليونسكو إيرينا بوكوفا واضحة حين قالت: «إن تدمير الإرهابيين للتراث ليس ضرراً جانبياً، وإنهم يستهدفون التراث بشكل منهجي لضرب جذور وقلب المجتمعات» وطالبت بضرورة اتباع سياسات جديدة من التعاون داخل المجتمع الدولي لردع الإرهابيين، ودعت إلى استخدام الثقافة إلى جانب القوة العسكرية كأداة للرد على أعداء الإنسانية والحضارة والفنون.

دعوات تنبيه الرأي العام التي قامت بها اليونسكو إلى المخاطر التي يتعرض لها التراث الثقافي السوري، كانت جيدة ولكنها بكل أسف لم تحد من أعمال التدمير والتخريب، التي كان آخرها تحطيم ثمانية تماثيل جنائزية تدمرية رائعة، وتمثال «أسد اللات» الذي يعد من أندر واهم الآثار التدمرية والعالمية.

د. علي القيم

جنوح الأشرعة... وأسباب الجنوح داخل صفحاته

«جهاد جديد» يشرّح تاريخ الحزب القومي الاجتماعي ومآثر زعيمه وقياداته

إسماعيل مروة

أنطون سعادة

جهاد جديد

«جنوح الأشرعة» من العنوان أبدأ هذه المرة لما فيه من دلالة واضحة، فالجنوح اعتراف صريح من قومي اجتماعي منح حياته كلها لمبادئ القومي الاجتماعي بالجنوح، وتغير الأمكنة، سواء كان ذلك بفعل خارجي أو بفعل داخلي، من مؤثرات المحيط السياسي والاجتماعي، ومن داخل الحزب ومكوناته ونهجه، وإن كان في الجانب الداخلي قد أخذ جانب الدفاع والتسويغ حتى عما لا يمكن أن يتم الدفاع عنه، وسأقف عند ذلك، وخاصة عند الديمقراطية حين فصّل الزعيم الدستور على مقاسه بدل أن يؤسس لحزب مستمر يتعاقب عليه بعده أشخاص قد لا يملكون ما يملك! والأشرعة إبحار في عالم الحزب وإيحاء بالمركب الذي يدل دلالة قاطعة على حدود آراء الحزب، وفي ذلك اختيار موفق للعنوان...

المذكرات وأهميتها

منذ سنوات ونحن نقرأ كل يوم لأحد السياسيين أو الحزبيين على تعدد الأحزاب مذكرات وسيراً ذاتية، وأزعم أن كمّ السيرة والمذكرات في العقد الأخير عربياً وسورياً وصل إلى الحدّ غير المتوقع، وبين هذه السير ما يستحق الوقوف عنده لمصداقيته، أو لاقترابه من الصدقية، وبينها ما تحوّل إلى عرض للعضلات والبطولات الجوفاء من كاتبيها، وخاصة إذا كان الشهود من الراحلين، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، فبعض السياسيين العرب كتبوا مذكرات من نسج الخيال، وتقترب من الرواية، ووضعوا فيها ما لا يمكن تصديقه، ولم يمنعهم الحياء لوجود الشهود على قيد الحياة من أن يتجاوزوا كل حد، والأمثلة كثيرة لمن عرفناه خاملاً فأصبح بطلاً، ولمن عرفناه لصاً فصار مقاوماً للفساد، ولمن عرفناه ظالماً فتبرأ من الظلم، وظهر كالحمل الوديع!! هل هناك من حاجة لذكر الأسماء والمؤلفات؟ هي متوافرة وتفنيدها ممكن، وأمام البحث عن خيط الحقيقة لا شيء يمكن أن يكون ممنوعاً أو محظوراً، ومن الواجب أن يعرّى الكاذب، وخاصة في ظل ما تعيشه منطقتنا العربية من أحداث وحروب كانت نتيجة طبيعية لممارسات كتاب السيرة من أي جانب كانوا..!

وهناك سير تاريخية ليست شخصية ولمنهج لا لشخص، والشخص الكاتب يكتفي بدور المدون، ويمدّ عنقه شاهداً بين سطر وآخر، وبين صفحة وأخرى، ومن هذه السير ما كتبه الأستاذ الصديق جهاد جديد في (جنوح الأشرعة– مراجعات ومذكرات قومي اجتماعي) الذي يدون مراجعات لقومي اجتماعي، والعنوان الفرعي يحمل سمتين:– المراجعة– المذكرات، فالمراجعات نقد وتقويم، والمذكرات تدوين لسيرة الحزب القومي الاجتماعي، فهل استطاع جديد أن يكون كاتب سيرة مؤرخاً وموثقاً؟ أم إنه لم يستطع أن يخرج من إهاب حزبه وزعيمه؟

لا ابتعاد عن السكة

عقود عديدة وسنوات طويلة مرت على التأسيس، وعلى دخول جهاد جديد في المنظومة الحزبية، وعلى بروز شخصية الزعيم أنطون سعادة، وها هو يوثق المرحلة ويؤرخها، وبداية ومن القراءة الأولى يكتشف القارئ انبهار الكاتب بالمؤسس، ورغم محاولاته العديدة بأن يكون موثقاً، إلا أنه لم يتمكن من أن يكون حيادياً، وهذا فيه شهادة للمؤلف، فهو قومي اجتماعي غير مرتد عن مبادئه، ولم يشأ التشفي من الحزب وتاريخه، ولم يظهر أي نوع من المظلومية، بل بقي محباً للمؤسس والمبادئ، وهو كذلك يسرد من وجهة نظر تتطابق مع رؤى الزعيم، وكل ما سواه مخطئ، وقد يصل إلى رتبة الخائن، وكل ما أقرّه وتصرفه وقاله الزعيم هو من الحق..! ومع هذا التعاطف الذي احترمه إلا أنه سرد الواقع وأسباب الخلافات، وإن انتصر لتيار الزعيم في الحزب، إلا أنه بإمكان القارئ أن يجنح إلى رأي آخر إن أراد.

ولم يمنعه حديثه عن الزعيم أن يتناول الدقائق التي ردّها إلى مصادرها، سواء كان ذلك في الحياة والعلاقات والأسرة والمادة والقيادة، والحقيقة أن جديد جلا الكثير من المعلومات التي لم يقف عندها الذي لا ينتمي إلى القومي الاجتماعي، فكانت الحميمية سفير حب يبتعد عن التنظير السياسي الذي قد لا يكون مقنعاً!

التعرف إلى أفكاره

أول مرة التقيت الأستاذ جهاد جديد في جبلة خلال مشاركتي في مهرجان جبلة الذي تنظمه جمعية العاديات، ولجهاد دور كبير في هذا المهرجان، وفي ذلك اللقاء عرفت شيئاً منه ومن السيدة حرمه، ورأيت اللحمة القوية بين المشرفين على مختلف انتماءاتهم، ولست أدري السبب الذي جعلني أتواصل مع الأستاذ جهاد والأستاذ طه الزوزو صديقه اللصيق، حتى جاءني هاتف من جهاد في ٢٠١٠/٩/١ يخبرني بأن أدونيس سيكون في ثاني أيام عيد الفطر في جبلة، وأحسست رغبة صديقي جهاد في أن أكون موجوداً، لأجلي، وتهيئة للقاء مختلف مع أدونيس، وبالفعل قصدت جبلة ثاني أيام العيد في ٩/١١، وبعد حادث سير تعرضت له على مدخل جبلة هيأ جهاد الجو في منزله الرابض على البحر، وكان اللقاء الأكثر أهمية في حياتي.. هيأ جهاد أدونيس لجلسة طويلة، واستقرت الأسرة على الشرفة، ولساعات طويلة جلس جهاد بعد أن استأذنت أدونيس بأن أسجل فوافق دون تردد، واحتفظ جهاد لساعات طويلة بالجلوس والصمت، وعيناه تبرقان، إلى أن أخبرنا بأن النادي الذي حجز فيه للعشاء سيقفل أبوابه، فلا بأس من متابعة الحديث هناك... أقول هذا لأن الأستاذ جهاد لم يتدخل بكلمة أثناء الحديث الطويل، ولكنه بحصافة المنتمي اكتفى بالابتسام والرضا عندما دخلت مع أدونيس في محور الحزب القومي الاجتماعي، ولم أكن بحاجة إلى دليل على انتماء جهاد لهذا الفكر، لذلك لم أفاجأ بهذه المذكرات التي تشبه جهاد وشخصيته وآراءه التي يعتقدها، والشبه تام بين المذكرات وصاحبها، وخاصة في المناقشة والهدوء والاستنتاج، والبعد عن الأنا إلا فيما ندر.

مذكرات حزب لا شخص

هل احتاج جهاد إلى نصف قرن ليدون مذكراته؟! هذا سؤال تبادر إلى ذهني وأنا أقرأ تفاصيل حياته السياسية، لكن القارئ بعد أن ينتهي يدرك أن الوقت له علاقة بالشخصية، فهو لم يفعل ذلك إلا ليكون عادلاً وشاهداً، فقد آثر أفكاره على نفسه، وقام بتدوين مسيرة حزبه على حساب سيرته الشخصية والحزبية! فلم يدّع البطولة والرؤية، ولم يتظلم ويبحث عن دور، لكنه أراد أن يقدم شهادة بعد عمر من الانتماء الذي لم يتغير، وهو بذلك يضرب مثلاً للانتماء، الذي لا يتغير بسبب موقف وممارسات، لأنه أمام فكر أحبه واعتقده، لم يؤثر فيه تغير المواقف والأشخاص!

يقع الكتاب في قسمين، خصص للحديث عن الحزب ورحلته، فلم يبدأ بالشخص الراوي، وإنما أخلص للحزب وزعيمه ومبادئه ورحلاته، فقدم من خلال هذا القسم سيرة للحزب وزعيمه، وقدّم معلومات قلّ أن نجدها في أي كتاب من الكتب التي أرخت للحزب، لذلك جمع المؤلف شتات الكتّاب، وبعض هذه الكتب تنظيرية حزبية لا يستسيغ قراءتها القارئ، وربما لا يعثر عليها، فأقدم المؤلف على تقديمها وتقريبها للقارئ الذي يجهل الكثير عن المبادئ القومية، ومن العنوان كان مخلصاً للزعيم ومبادئه، أنطون سعادة– القضية والفداء، ليعرض للحزب وتأسيسه، من نشأة الزعيم وأسرته، ورسالة أفكاره القومية الاجتماعية، وفصّل في هذه الآراء والمشكلات التي تعرض في مجتمعاتنا من مفهومات: الأمة، العروبة، الطائفية، الديمقراطية، ثم جال مع الحزب وزعيمه في ميادين العمل في الداخل والخارج.. ولعلّ المسكة الأدبية والشعرية هي التي دفعت المؤلف إلى وقفة أدبية مميزة عند شعراء المهجر وتأرجح مواقفهم من الزعيم ومبادئه تبعاً للظروف السياسية وحتى لا يتحول الكتاب إلى دراسة نظرية تنظيرية في الحزب القومي الاجتماعي، ويصبح نظرة مراقب بحيادية، يتحول المؤلف في الجزء الثاني من الكتاب إلى الدخول في جوهر العلاقة بين المؤلف والحزب الذي آمن به، سياسات متعثرة وذكريات مرة.

> التفسير لمظاهر الدكتاتورية بالنظرية الأبوية القائمة على التملك!

خزان الحزب سورياً

يقدم المؤلف علاقته بالحزب ابتدأ فيها من صفحة ١٦٣ ليجول بنا في آليات الاجتماع والانتساب، وفي المواقع التي مثلت خزان الحزب من الناحيتين الفكرية والانتماء، ففي قرى ومدن الساحل السوري يجول المؤلف ليبين أن هذا الحزب أخذ مساحة كبيرة مناطقية، وحاز رضا الشباب والمثقفين آنذاك، وكانت منطقة بستان الباشا المنطقة الحيوية لنشاط الحزب وكوادره وقياداته، ويشير المؤلف إلى أن أرملة الزعيم أنطون سعادة حضرت إلى بستان الباشا، والتقت كوادر القيادات المحلية، والمنتمين إلى الحزب القومي الاجتماعي، ويذكر للمؤلف هنا أنه جعل تطوافته هذه شاملة، فقد تعرض للحركة التعليمية والثقافية والتعليمية، بل تعرض للمدارس الرسمية وتأسيسها وولاءاتها، والأسباب التي دعت إلى تأسيسها، لما لها من دور في تثقيف الإنسان وتعزيز الانتماء الحزبي لديه، وراقتني إشاراته إلى أن الخصومة الحزبية بين أبناء المنطقة الواحدة لم تجعلهم أعداء على الواقع، بل إن المؤلف أظهر المنافسة الطيبة بين أبناء المنطقة المنتمين إلى تيارات سياسية حزبية متضادة..!

ومن خلال انتمائه إلى الحزب القومي الاجتماعي، عرض المؤلف لسيرته وسيرة النشاط داخل سورية وخارجها، خاصة من خلال رحلته في الإعارة إلى الجزائر، لتترافق رحلته إلى الجزائر في التعرف إلى القيادات الأخرى، وإلى البلدان الأخرى، وإلى رحلة التحرر العربي، وكذلك وقف عند الإخفاقات العربية السياسية من نكسات إلى ما أكثر وما دون ابتداء من نكسة حزيران وما خلفته في نفس المنتمي.

النقاش والاعتراف بالخيبة

ابتداء من العنوان يعترف الكاتب بالجنوح، وابتعاد الأشرعة عن المسار المحدد لها في لجة بحر السياسة، ومن ثم فإن متابعة الكاتب لمسيرة الحزب وزعيمه المؤسس ورحلاته، تظهر التصدع والجنوح، ووجود أجنحة حاولت الخروج عن الإطار الذي رسمه الزعيم، وانتهى الكتاب بتأكيد الاعتراف بالواقع «فسوف تكون القيادة لهؤلاء الشباب الأصفياء الذين سيمنعون جنوح الأشرعة القومية الاجتماعية، والذين سوف يعيدون للنهضة قوتها واستقلالها ثم يبحرون على سفن الضوء نحو المستقبل» فالجنوح بدأ مبكراً، ولكن إيمان المؤلف بحزبه جعله يأمل بضوء المستقبل، وبالشباب الذين يملكون الصفاء، فهل يكون ذلك؟

وعلى الرغم من كل الحياد والقومية الاجتماعية المتوقدة، إلا أنني أخذت على الصديق جديد ذلك الانسياق وراء ما يفعله الزعيم وخطط له، فأي قرار أو رؤية هو الصواب، والتمسك بالرأي والتفرد بالقرار لا يرى فيه أي خروج عن الديمقراطية، كأن مفهوم العصمة انتقل إلى الزعيم! إن الانتقاد لا يخفف من مكانة الزعيم المؤسس، ولا يقلل من قيمته التي جعلته واحداً من أهم شخصيات القرن العشرين، ولنقرأ مثالاً واحداً يدل على انحياز الكاتب لزعيمه من دون النظر إلى الآخرين، بل يجد المسوغات للزعيم «إن زعيم الحزب، هو قائد قواته الأعلى، ومصدر السلطتين التشريعية والتنفيذية، وله وحده، الحق في تعديل الدستور، مهما كان الأمر مصيرياً، وله وحده الحق في تعيين أعضاء المجلس الأعلى وتعيين العمد، وفي منح رتبة الأمانة، أو إلغائها، وله الحق في الزعامة لأنه صاحب الدعوة، والمعلم والمشرع والأكثر إيماناً بها وغيرة عليها» ويضيف معلقاً، وكأنه يجيب السائل: «لكن هذا الحكم المطلق الذي يظهر سعادة ديكتاتورياً، هو في حقيقة الأمر غير ذلك، لأن سعادة حين أسس الحزب، دعا مواطنيه للانضمام إليه على مبدأ التعاقد الحر، فأقبلوا مختارين، وقابلين بزعامته المطلقة وقيادته المنفردة»!

فالتأسيس منح سعادة أبوة الحزب وملكيته، والتعاقد الحر يعني الإذعان للمطلق!! أليس من حق قومي اجتماعي عتيق أن يرى في الأمر رأياً مخالفاً؟!

«جنوح الأشرعة» كتاب مهم، وواضح في مسيرة الحزب القومي الاجتماعي لأحد أعضائه القدامى، وهو ما يزال على عهده للزعيم.

الأميرة بدور والطير العجيب وسيف الأزل...

الوطن

جاءت مكتبة الطفولة بعددها الثالث الصادر عن وزارة الثقافة – الهيئة العامة السورية للكتاب، والتي حملت عنوان «الأميرة بدور والطير العجيب وسيف الأزل». وهي قصة من كتابة «ماجدة رحيباني»، ومن رسوم «أمجد الغازي»، وقد حملت القصة وضوحاً يتناسب ولغة التشويق والتبسيط التي تتناغم وقربها من الطفل ورغبته في متابعة مغامرة من زمن جميل قديم عبر تقليب صفحات من الورق، في حين كانت الرسوم شارحة للمشاهد بقوة، لكنها حملت إشارة جاذبة أكثر للطفل من خلال دعوته لتلوين الشخصيات وتفاصيل الرسوم في وجه عام كما يحلو لهم استرشاداً بلوحةً أساسية تمّ وضعها في أعلى اللوحة تلك، وهي دعوة غير مباشرة للتعلق بالقصة أكثر والاستمرار في متابعتها والاحتفاظ بتفاصيلها التي يمكن للطفل أن يشعر بأنّه مساهم في إنجازها وصولاً للنهاية السعيدة عبر تلوين هذه الصفحات والاستمتاع بها.

مزيج الماضي والحاضر

حملت القصة مغامرة مشوّقة، فيها رائحة من مغامرات السندباد وحكايا ألف ليلة وليلة والسحر والعوالم الخفيّة التي طبعت ملامح القصّة في الحضارة العربيّة عموماً، وقد حملت هذه القصة أيضاً في جوانبها استعارات من قصص أجنبية ولو بطريقة غير مباشرة، منها أن ما جاء في طول شعر الأميرة بدور وتسلق الأمير نور الدين عبره ليصل إليها وهذا ما يطابق القصة المعروفة لدينا بذات الشعر الذهبي أو «ريبونزل».

أيضاً كانت النهاية سريعة إلى حدٍ واضح وجلي مقارنة بباقي أحداث القصة فلم يكن التمهيد كافياً، للوصول للنتيجة وانتصار نور الدين على كذب أخويه وعقاب الوالد لهما ومكافأة نور الدين وزواجه من الأميرة بدور، فكل هذه الأحداث تحتاج إلى توصيف دقيق أكثر مما جاء في القصة عبر سطور قليلة من نهاية القصة.

إيجابيّات وملاحظات

في القصة إيجابيّة لا بدّ من الإشارة إليها وهي شرح للمفردات الصعبة التي يمكن ألا تكون مفهومة للأطفال في سنٍ صغيرة، وهذا ما يدل على اهتمام واضح ممن اختار ووضع القصة وأحاطها بهذه العناية التي تجلّت أيضاً عبر الألوان المنتقاة للغلاف، وللصور التي تساعد في التخيل للمشاهد في مكانها المناسب فكانت متكاملة جداً على الرغم من أن الشكل الخارجي للقصة الملونة باللون الأخضر وتدرجاته يعيدنا في الذاكرة لقصص المكتبة الخضراء التي وعت عليها أجيالنا في السابق، وهذه النقطة قد لا تكون في مصلحة من درس هذه الخطوة، فمن الممكن إبداع نمط جديد بعيداً عن لغة التقليد التي تقلل من أهمية الخطوة المرجو منها التطلع لشيء جديد يتناسب ولغة الأجيال الحديثة التكوّن، ومن وجه إيجابي آخر أيضاً يمكننا الإشادة في المغزى المكتوب في نهاية القصة، والتي يسترشد منها الطفل الهدف المرجو من كلّ هذه القصة، والتمعن فيه أكثر، وقد نظم في مستطيل هندسي أقرب لسبورة الصف التي يتلقى فيها الطفل دروسه التعليميّة في المدرسة.

(لمة رمضان) والتكنولوجيا

أنس تللو

اللمة هي اجتماع جميع أفراد العائلة من أكبر جد إلى أصغر حفيد في بيت العيلة ؛ أي في بيت الجد الكبير، وذلك في اليوم الأول من شهر رمضان لتناول طعام الإفطار، ثم يجتمعون في اليوم الثاني عند أكبر أفراد العائلة سناً، ويتناوبون طوال شهر رمضان على اللقاء على مائدة الإفطار عند أحدهم حيث تقوم ربة المنزل باستضافتهم، ببهجة وسعادة وتقدم لهم أطايب الطعام الشهي الذي كانت رائحته الزكية تملأ البيوت والأحياء، والذي كانت تتنافس ربات البيوت في صناعته (آنذاك).

وقد كان لهذا الاجتماع رونق خاص وبهجة أليفة، إذ كان الناس يجلسون ويأكلون ويتسامرون، ويدخلون في جو بهيج من الحميمية الخلاقة، ويتشاركون في حوار عائلي مفتوح، تتم فيه مقاربة وجهات النظر، وتحل فيه الخلافات...

ولا ننسى ما كان لأحاديث الجد والجدة الحكيمة من أثر فعّال على أخلاق الأولاد والناشئين نظراً لما تحمله تلك الأحاديث من حكم ومواعظ أخلاقية جيدة ؛ تعلّم أساليب الحياة الرغيدة ضمن جو من التآلف والتفاهم كبير.

إنها جلسة تتقارب فيها النفوس وتتصافى، وتقوي الصلة بين الأرحام... من هنا فقد كان شهر رمضان برمته مدرسة اجتماعية أخلاقية كبرى، تعلم الصفات الحسنة للأولاد، وترشد الكبار إلى الفضائل الكبرى...

ما كان أجملها من جلسة عائلية هانئة، يلتف فيها أولاد العائلة حول الجد الكبير، أو يتحلقون حول البركة لتسمع ضجيجهم الجميل يختلط مع صوت قرع القباقيب، ويترافق أحياناً مع صوت ضحكات النساء في أثناء تراشقهن بماء البركة... ما كان أحلاها من أيام بسيطة لا تعقيد فيها، ديدنها التيسير وحليفها الوصال، تلتقي فيها كل العائلة على مائدة واحدة... ويترافق مع اللمة أحياناً موضوع (السكبة) حيث يحضر كل ابن أو حفيد معه طبخة صغيرة جداً في صحن متوسط الحجم أو صغير اسمها السكبة.

وكما يهفو الجسد بعد طول عناء وجوع إلى أطايب الطعام اللذيذ، كذلك فإن النفس تتوق إلى مجالسة الأصحاب والحوار الممتع...

تلكم كانت هي اللمة (لمة رمضان) التي يتداعى إليها الأقرباء دون مناد ليلتقوا جميعهم في بيت الجد أو الأب أو الأخ الأكبر.

كانت لمة رمضان عادة أصيلة تصفي النفوس، وهي فرصة سانحة لتلاقح الأفكار وتبادل الآراء.

وما كان أجملها من عادة قديمة أصيلة ؛ تعبر عن روح جماعية أسروية، تحمل مباهج كثيرة فوائد عديدة.

اليوم بدأت هذه العادة تتلاشى، ما أفقد رمضان نكهته الخاصة ؛ فقد جاءنا البديل ؛ البديل الذي جعل بعضنا يلهث وراء موضة التكنولوجيا التي التهمت عقوله وجيوبه.

لقد أفقد الغزو التكنولوجي شهر رمضان بهجته وألقه، وأصبح الكثيرون يميلون إلى الانعزال مع أصدقاء الفيس بوك، بدلاً من الالتفاف حول صحن الحلوى وصينية الشاي.

لقد تركنا أحاديث الأجداد والجدات ؛ وأحاديث رمضان الشيقة، وجاءت أحاديث أخرى يتم تناولها بدلاً منها...

فقد اختفت اللمة حين غدا كلٌ منا يفضل تناول طعام الإفطار بمفرده أحياناً وهو يتابع برنامجه المفضل أو مسلسله الرائع على الفضائيات العربية.

وقد استبدل العديد من الأشخاص بعادات اللمة العائلية خلال سهرة رمضان اللمة على طاولة الكمبيوتر والسهر مع الأصدقاء عبر شبكة التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) إلى غاية السحور، ولم يعد هناك دور لأحاديث الأهل، ولا لزيارة الأقارب...

رحم الله رمضاناً كان فيه تراحم وتآلف ومحبة ؛ ضمن بيئة عائلية بيتوتية عبر حوار عائلي مفيد...

ألا ليتنا نعود إلى التمسك بعادات رمضان والتشبث بأخلاقه.